

الوقوف على صعيد عرفات



يتواجد الحجاج عشيةً عيد الأضحى إلى صعيد عرفات لأداء أهـم ركن من أركان مناسك الحجـ، وهو الوقوف في عرفة، والذي قال فيه الرسول (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) : «الحجـ عـرـفـةـ»، حيث يبدأ الحجـاج ليلاً بالتوجـه إلى عرفات من مشعر منى، بعدما يتموا عمرة التمـتع من الطواف حول البيت الحرام، والسعـي مع بداية شعـائر الحجـ. وبعد الوقوف في عـرـفـةـ، ينـفـرـ الحـاجـ لـلمـبـيـتـ فيـ مـزـدـلـفـةـ، وـهـوـ ماـ يـعـرـفـ بـ«ـالـنـفـرـةـ»، وـهـنـاكـ، يـبـدـأـونـ بـجـمـعـ الـحـصـ، لـيـتـوـجـهـوـاـ بـعـدـهـاـ إـلـىـ مـنـىـ لـرـمـيـ الـجـمـرـاتـ. وـفـيـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ مـنـ عـيـدـ الـأـضـحـىـ، يـقـدـمـ الـحـاجـ الـأـضـاحـىـ، وـيـبـدـأـونـ بـشـعـيرـةـ رـمـيـ الـجـمـرـاتـ، ثـمـ يـسـتـكـمـلـوـنـ مـاـ بـقـيـ مـنـ شـعـائـرـ الـطـوـافـ وـالـسـعـيـ.

هذه الأـيـامـ هيـ أـيـامـ الـحـجـ الـمـبـارـكـ؛ الأـيـامـ الـتـيـ يـنـتـظـرـ فـيـهـاـ الـحـاجـ الـوـقـوفـ عـلـىـ جـبـ عـرـفـاتـ؛ يـقـفـونـ عـلـيـهـ جـمـيعـاـ، عـرـبـهـمـ وـعـجـمـهـمـ، أـسـودـهـمـ وـأـبـيـضـهـمـ، فـقـيرـهـمـ وـغـنـيـهـمـ.. يـقـفـونـ فـيـ تـلـكـ الصـحرـاءـ الـوـاسـعـةـ، تـلـبـيـةـ لـدـعـوـةـ إـلـىـ سـبـحـانـهـ، وـأـمـتـلـاـ لـأـمـرـهـ.. يـقـفـونـ لـيـشـهـدـوـاـ لـهـ بـأـرـهـ وـاـحـدـ أـحـدـ، فـرـدـ صـمـدـ، لـاـ شـرـيكـ لـهـ وـلـاـ مـثـيلـ.. يـقـفـونـ وـهـمـ يـوـحـّـدـوـنـ وـلـاـ يـشـرـكـوـنـ بـهـ أـحـدـاـ، سـوـاءـ كـانـ كـانـ مـنـ الدـوـلـ الـصـغـرـىـ أـوـ الـعـظـمـىـ، سـوـاءـ كـانـ مـلـكـاـ أـوـ رـئـيـساـ، يـقـفـونـ لـيـشـهـدـوـاـ أـنـهـمـ فـيـ خـطـ رـسـولـهـ يـسـيرـوـنـ، الإـسـلـامـ دـيـنـهـمـ وـعـقـيـدـهـمـ وـشـرـيـعـهـمـ وـمـنـهـجـهـمـ فـيـ الـحـيـاةـ، الإـسـلـامـ سـيـاسـتـهـمـ عـنـدـمـاـ يـرـيدـونـ التـحرـيـكـ فـيـ مـيـدـاـنـ السـيـاسـةـ، وـاجـتمـاعـهـمـ فـيـ مـيـدـاـنـ الـاجـتمـاعـ، وـاقـتـصـادـهـمـ فـيـ مـيـدـاـنـ الـاـقـتصـادـ. تـلـكـ هـيـ الرـوـحـ الـتـيـ يـرـيدـ إـلـىـ لـهـ أـنـ تـعـيـشـ أـجـوـاءـ الـحـجـ؛ الـرـوـحـ الـتـيـ جـاءـتـ مـهـاجـرـةـ عـنـ كـلـ خـصـوصـيـتـهـاـ وـمـوـاقـعـهـاـ، وـعـنـ كـلـ الـحـسـابـاتـ الـحـمـيمـةـ الـتـيـ كـانـ تـعـيـشـهـاـ.

والسؤال هنا: ما هي الروح اليوم التي من خلالها نتعامل مع قضايانا، ونحن نشاهد الكثير مـمـنـ يـبـتـعدـونـ عـنـ مـيـادـيـنـ الـحـجـ وـغـايـاتـهـ وـمـعـانـيـهـ وـمـقـاصـدـهـ، مـنـ النـوـاـحـيـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ؟ فـالـاجـتمـاعـ الـيـوـمـ عـنـدـ الـبـعـضـ، هـوـ عـلـىـ نـشـرـ الـفـوـضـيـ وـالـفـتـنـةـ، وـتـغـلـيـبـ لـغـةـ الـأـحـقـادـ وـالـعـصـبـيـاتـ، وـتـقـدـيمـ الـحـسـابـاتـ الـشـخـصـيـةـ وـالـفـئـوـيـةـ، وـكـلـ ذـلـكـ لـاـ يـنـسـجـ بـتـاتـاـ مـعـ روـحـيـةـ عـبـادـةـ الـحـجــ، وـلـاـ مـعـ الـوـقـوفـ الـحـقـيقـيـ . بين يـدـيـ الـخـالـقـ عـزـ وـجـلـ .

لابدّ لنا، والحال هذه، من أن نهيئ كلّ المناخات التي تعيد الحياة إلى كلّ القيم والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، وأن نحرّكها في كلّ تفاصيل حياتنا، وأن تحكم كلّ أوضاعنا وعلاقتنا مع أنفسنا والمحيط من حولنا، عبر الانفتاح على خطّ الله تعالى وتعاليمه السمحاء، بكلّ جرأة ووعي وعقلانية.. إنّها وقفة الحياة أمام الله تعالى، تستلهمنه وتستهديه في كلّ ما يشغلها في واقعها، لحظة تحاول استلهام كلّ الصواب على مستوى الفكر والعقل والروح والشعور، وتحقيق كلّ اتصال مع الله ينعكس خيراً على الذات الفردية والجماعية، بما يخدم وجودها حاضرها ومستقبلها.

قال الله تعالى: (فَإِذَا أَفَادْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ) (البقرة/ 198).. فمن أعمال الحجّ أن يقف الناس في عرفات من الزوال إلى الغروب وقفه خاسعةً فيها الكثير من العبادة والتأمّل والنفذ إلى أعماق الروح في لحظة صفاء ونقاء.. إنّها وقفة الحياة أمام الله، تستلهمنه وتستهديه، وتفتح قلبها أمامه في آلامها وآمالها، من أجل أن يلهمها الصواب في ما تفكّر، ويهدّيها الصراط المستقيم، ويجعل لها من أمرها يسراً، فيكشف عنها آلامها، ويحقق لها أحلامها.. إنّ الوقوف في عرفات، تماماً كما لو أنّ الإنسان يعيش في رحلة طويلة تجده، وتنبهه وتكتّفه الكثير من الخسائر، وتواجهه بالكثير مما يقوم به من أعمال ومشاريع.. فيشعر بالحاجة إلى وقفة يتخفّف فيها من متابعيه، ويراجع فيها حساباته، ويعرف فيها ماذا بقي له من الرحلة وما مضى منها، ليبدأ من موقع التجدد الروحي الذي يملأ كيانه في رحلة جديدة واعية لكلّ أوضاع الحاضر والمستقبل.

إذاً، يوم عرفة هو يوم التأمّل المنفتح على كلّ جوانب الرحمة الإلهيّة؛ هو يوم تصفية القلوب والعقول من كلّ الأدران والأمراض الروحية والأخلاقية والفكرية، استعداداً للتلقّي مغفرته ورحمته وبركاته، إنّه يوم الشهادة الله، والإقرار بالعبودية الخالصة لوجهه، والتي يعكسها الإنسان سلوكاً و موقفاً فاعلاً في حركته في الحياة، بحيث يشعر بأنّ الله تعالى أكبر من كلّ شيء منه وإليه كلّ شيء.